داخلياً. وعلى وجه الدقّة، يجب أن يمتلك كل عضو فرد في المجتمع اللغوي نظاماً يقترب من نظام المجتمع كلاً متكاملاً؛ لأن اللغة، كما يؤكّد سوسير، «لا تكتمل في أيّ فرد وحده ولكنّها توجد لدى الجماعة بدرجة الكمال».

(دروس: ص30)

وهكذا فإن البنيوية عند سوسير كلّية مرتين، أو كلّية بمعنيين في وقت واحد، ويوجد بعد اجتماعي لهذه الكلّية[2] ينفي عن كلّ فرد أيّ وجود لغوي منفصل، ولا يعطي الفرد أيّ دور غير ذلك الذي يسمح له بالاستفادة من النظام الجمعي للغة باستخدامها في الكلام، وفي الوقت ذاته هناك بعد منتظم للكلّية ينفي عن الوحدات اللغوية أي وجود منفصل: فهي مكوّنة كليّاً وببساطة بالعلاقات الداخلية ضمن اللغة في كلّيتها. وهكذا تبدو البنيوية عند سوسير باختصار كلّية من الداخل والخارج.

من المفيد أن نلحظ أنه في عهد سوسير بدأت النظريات الكلّية تنتشر في حقول أخرى غير علم اللغة. فمثلاً علم الاجتماع عند دوركهايم ذو صفة كلّية من الخارج وذلك لأنه يدّعي أنه يتعامل مع سلسلة من الحقائق التي قد تعدّ سمة من سمات التجمّع ولا يمكن تقليلها إلى مجموعة من الحقائق التي تختصّ بالأفراد، برغم أن فعّالية الأفراد أساسية لحياة التجمع. (أي دوركهايم، قواعد المنهج الاجتماعي 1895). وقد ينظر إلى هذه الفكرة بدورها كونها امتداداً لوجهة النظر التي طوّرها سبنسر، بتأثير داروين، إذ يمكن النظر إلى المجتمعات كونها كائنات حيّة لا تستطيع أجزاؤها أن تعمل مستقلّة عن الكلّ. وقد بدأت النظريات الكلّية «من الداخل» تصبح بارزة في علم النفس، في مدرسة الجشتالت بشكل خاص. وقد انبرى فون ايرينفلز

هيرموجينيز: نعم.

سقراط: حسناً. إذاً لنفرض إنني أطلقت اسماً على شيء ما دون آخر وبالتخصيص مثلاً نطلق لفظة رجل على الحصان ونطلق لفظة حصان على «الرجل». سيكون الاسم الحقيقي لنفس الشيء هو رجل عند الناس وحصان عندي أنا شخصياً. وفي الحالة الثانية حصان عند العامة من الناس ورجل عندي أنا شخصياً؟ هل هذا ما تعنيه؟

هيرموجينيز: نعم هذا هو رأيي .

سقراط: والآن أجب عن هذا السؤال: هل هناك فرق بين ما تسمّيه قول الحق وقول الزور؟

ويتّفق هيرموجينيز مع سقراط أنه يوجد ما يسمّى قول الحق وقول الزور. وهكذا تجنّب المصيدة التي نصبها له سقراط بحذاقة. ويرمي سؤال سقراط إلى التنبّه إلى أنّ نظرية الإرادة في إطلاق الأسماء والتي يتزعمها هيرموجينيز تقود مباشرةً إلى الاستنتاج الذي يتناقض والمنطق السليم، لأن ذلك يبرّر الاعتراف بلغات خاصة كثيرة بعدد الأفراد. وهذا يلغي فهمنا المتعارف للفرق بين الحقيقة والكذب. وعادة عندما يقول قائل إن للحصان أربعة أرجل فإننا نقبل هذه العبارة على أنها حقيقة. ولكنّنا إذا صدّقنا ما يقوله هيرموجينيز فإنّنا نقع في خطأ واضح: لأنّ ما نعرفه أن المتكلّم قد يتحدّث بلغة خاصة تصبح فيها لفظة حصان اسما لما نسمّيه رجلاً. وهكذا تصبح العبارة: «أن للحصان أربعة أرجل» غير صحيحة.

إذا اعترفنا الآن أن لفظة حصان تعني رجلاً وأن سقراط يعني هيرموجينيز عند ذلك تتعطّل اللغة كما نعرفها بالشكل المعتاد وتنهار بسهولة. وليس بمقدورنا عندئذ أن نقرّر هل إن العبارات التالية صحيحة أو غير صحيحة: «إن للحصان أربعة أرجل» و«سقراط متزوّج من زانثيبي». وأسوأ من ذلك، إذا صحّت نظرية هيرموجينيز في الأسماء فإن إثبات صحّة هذه العبارات أو زيفها أمر غير واضح.